# برمان ينقد المترجمين العرب القدامى

**نادية حفيز**
**جامعة الجزائر2**

**مقدمة**

إن برمان المفكر والناقد والأستاذ والباحث في الترجمة شرع في بناء نظرية نقد الترجمات مركزا على مبادئ عرفها وأعطاها الأولوية .وقد الح على مبدأ أساسي ألا وهو المؤلف الأدبي الكلاسيكي الأوروبي المتعلق بالرومانسية الألمانية، وهذا المؤلف ينتظر دوما أن يترجم وأن تعاد ترجمته باحترام النسخة الأصلية فتقرأ، وتعاد قراءة النص المترجم في أفق معينة وصولا إلى استقبال النص.هذه باختصار هي المبادئ التي عمل بها برمان،غير أنه ينبغي أن يضاف إليها حتما مفهوم "بربر" كما وظفه اشليغل لتوضيح موقف برمان من العرب.

حقا،كان أنطوان برمان يرمي إلى النقد المطلق[1]،وكان شغوفا بالأدب و النقد، حتى إنه رد للترجمة مرتبتها الشريفة بعمق النقد الأدبي.وصحيح أنه عاب العرب وأقصى مترجميهم؛ولم يذكرهم إلا سلبا عند بسط نظريته؛ والسبب في ذلك ،أنه اختفى وراء رأي المستشرق الألماني فريديرخ اشليغل بحيث وصل إلينا نصه عبر استشهاد برمان له.

لماذا هذا الإقصاء؟ لماذا هذه الآراء المسبقة حول قضية حرق نسخة المؤلف الأصلية؟ لماذا نزعت فضيلة الأخلاق من المترجمين العرب؟

كان مبعث هذه الأسئلة ينطلق من نصيين سمحا بالتعليق والشرح بصفتهما متنا لبيان الأدلة على ما قاله برمان؛غيران تأويلهما

ربما يكون ذاتيا فيوسع فهم الأفق التي يرمي إليها برمان أي أفق أوروبية محضة.
النصان مقتبسان من كتاب أنطوان برمان"امتحان الغريب"[2].

وقد نقلتهما إلى العربية حتى يسهل تحليل أفكار برمان و موقفه من المترجمين العرب القدامى.

النص الأول متواجد في الصفحة[23-24]؛ عنوانه هو:"الترجمة والعبر نصية".وبالتالي في الصفحة 59.جعلت لهذه الفقرة عنوانا:"الروم و العرب"؛ ولكي يتم الشروع المنهجي لفكرة برمان جعلت النص الثاني موضوع التحليل حيث ينقد برمان موقف العرب من الترجمة و النسخة الأصلية فقد بت برمان الحكم عليهم بأنهم قوم غير مجدين في ترجمتهم لرميهم الأصل بعد ترجمته.هذا ما يجعلنا نتساءل: ما هو الباعث الذي ترك أنطوان برمان يلغي الجدية و المرجعية من المترجمين العرب؟هل كان السبب حضاريا أو تاريخيا أو ثقافيا؟ المغالطة تاريخية لأن أنطوان برمان استند على مقارنة اشليغل، حيث اشتهر الروم و العرب و اليونان بالترجمة ،غير ان هذين الأخيرين سلكا طريقا مختلفا عن الروم.وكان الفضل للروم في تأسيس لغة وحضارة حسب قول برمان نقلا عن اشليغل الذي يقول:"كان هو سهم رمي الأصل والقضاء عليه بعد أن قاموا بالترجمة:هذه هي ميزة تفكيرهم الفلسفي"[3]

أ-**روما مركز الترجمة**:

من خلال هذه الجملة، يبدو مشروع أنطوان برمان تاريخيا ..إنه يمجد الروم و هده قصة تاريخية قديمة تتجدد و تمتد عبر العصور طبقا لما قاله الله سبحانه و تعالى في سورة الروم:"آلم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد غلبهم سيغلبون في بضع سنين من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون"[4].

يستهدف أنطوان برمان روما كمركز بنيت حوله الترجمة الأوروبية. فالاختيار مقصود: إنه تاريخي وثقافي يعني أنه لم يعاكس الرأي الشائع بأن العرب واليونان والروم شعوب مترجمة .إنه سكوت عن ما هو خارج المركز كالفراعنة والأرمينيين السباقين في الترجمة العالمية وجعل من جهة اليونان و العرب خارج مشروع بناء مركزي أوروبي للترجمة؛ إذ هما قومان عدوان لروما الكاثوليكية المسيحية. فروما هي التي طالبت بترجمة الكتاب المقدس من العبرية إلى اللاتينية لتدعيم أسسها اللغوية و الثقافية و خدمة لصالح الحاكم الروماني حتى يوطد حكمه.

برمان اختار روما واحتج لاختياره بحماس. فالترجمة الأوروبية،في رأيه، "شيء لاتيني وشيء روماني"[5]فجمع المصطلحات التي تطبع الترجمة بطابع لاتيني ليقول:"والترجمة متعلقة بشبكة من الكلمات اللاتينية الأساسية تحدد هويتها كالكلمات":tradition,translatio,argument » ،ويضيف برمان قيما رومانية حتى تتحلى الترجمة بصبغة أوروبية محضة منها la constantia,la severitas,la gravitas, l'autoritas أي الاستمرارية والجدية والنوعية والسلطة، كأن العرب معفون من هذه القيم الخاصة بروما الوثنية وروما المسيحية. ومن جهة أخرى أكد برمان أنه خارج روما ،لا وجود للترجمة ...فالقضية إذن ليست تاريخية فقط وإنما هي أيضا حضارية.كأنه ينفي وجود حضارتين قد اشتهرتا بالترجمة والحفاظ على الكتب من الهلاك عن طريق الترجمة[6]نسي برمان القيمة الأخلاقية للعرب في الدفاع عن المخطوطات،.. حيث كونوا خلايا من مقتني الكتب الأصلية الموجهة للترجمة .لعله لم يسمع كلاما عن المترجم حنين بن إسحاق وطريقة تصنيفه للنسخ الأصلية التي كان يصححها ويعيد قراءتها قبل ترجمتها .حقا كان نشاط حنين بن إسحاق الدؤوب قد عين الطريق الذي ستسلكه الحضارة.

فعلا قد ترجم حنين بن إسحاق أرسطو وأفلاطون والعهد القديم اليوناني ونسخة الترجمة السبعينية la version des septantes؛ كثيرا ما يشبه سلوكه الترجمي بسلوك المترجم المعاصر حيث كان يشرح ويصحح ويعلق ويعيد قراءة ترجماته.فما قال برمان عن الترجمة الأوروبية يجوز أن يقال عن ترجمة العرب وعند موت حنين بن إسحاق كان يعتبر الجزء الأكبر من المؤلفات الكلاسيكية قد ترجم. فما يثير الدهشة هو ان برمان الذي حارب المركزية العرقية عند الترجمة فإنه يصف العرب ب"بربر".

**ب-العرب"بربر":**

كثيرا ما يرجع هذا المصطلح التحقيري على ألسنة الأوروبيين في القرن العشريين ،ليصف كل ما هو خارج عن حدودهم ،أي كل ما هو غريب عنهم.فالتحديد يتغير من ليفي استروس إلى برمان الذي تطرق في كتبه إلى الغريب والغرابة وأعطى معنى لكلمة"بربر"أي من"هو ضد الكلاسيكية"أي"ضد التقدم".

فالكلاسيكية الأوروبية تجمع الترجمات من اليونان إلى . وما أنتجه اللاتينيون هو كل ما اقتنوه من الترجمات العربية؛فهذا الأمر مسكوت عنه وكان يرفض كل ما هو عربي.وهكذا جعل اللاوعي الجماعي الأوروبي ومعهم برمان يؤثر على الاعتقاد بأن العرب على الرغم "ثقافتهم الواسعة بربر"أي"ضد الكلاسيكية"التي لا يعتبرها العرب نموذجا تاريخيا.

إن تضمين المصطلح واضح يدل على خروج من المركز كل ما لا ينتمي إلى اللاتينية والمسيحية بحيث تأسست بهما الكلاسيكية.وروما هي الرحم وهي المنشأ وموطن الترجمة

الأوروبية.وهكذا دافع برمان عن اعتقاده كأوروبي بقوله:"نحن المترجمين سنبقى مترجمين رومان"[7].

**ج-الأدب**:

كان أنطوان برمان صريحا في مشروع نقد الترجمات عندما حدد الترجمة الأدبية والشعرية دون الترجمة العلمية أو الطبية، غير أنه ما أشار إلى ضعف الأدب الأوروبي في القرون الوسطى،هذا الأدب الذي جاء للوجود بفضل حاجته الملحة للترجمات العربية للكتب اليونانية[8].

يلاحظ أن برمان يعترف أحيانا بخطئه في تأملاته حول الترجمة و يصرح به[9]و لعله يعتقد أنه أصاب في مشروعه إذ أقام سياجا بين الروم وبين العرب حتى يتم بناء ترجمة أوروبية في سياق المؤلف الأدبي؛وبالتالي،عرف في كتابه في سبيل نقد الترجمات:"جون دون نموذجا"مفهوم نقد الترجمات وقسمه إلى شقين:سلبي و ايجابي حيث يتخذ الناقد موقفا حياديا وعلميا،كما يقول برمان غير ان هاتين الصفتين تغيبان عندما يذكر مؤلف سرفنتيس. فنقده سلبي حينما يقول:"وخير مثال على ذلك دون كي خوته حيث سرفنتيس شرح لنا بأن مخطوط روايته حول مغامرات بطله قد ترجم من العربية"؛أكيد أن هذا القول صرح به سرفنتيس نفسه؛نستشف من هذا أن أصل الكتاب عربي؛ يضيف برمان فعلا ثانيا وهو"زعم" أي "زعم أن النسخة الأصلية كتبها مغربي السيد حامد بن جلي". "شرح"و"زعم" فعلان أسلوبهما خبري يحتمل فيهما التصديق أو التكذيب؛ولكن الشك يثيره برمان أكثر من اليقين باستعماله الفعل"زعم"؛كأنه يكذب بأن قصة دون كي خوته عربية الأصل؛أين العيب هنا إذا كانت الرواية حقا عربية؟هل هذا يمس صيتها و شهرتها؟لقد نشر التضمين ضبابية في جملة برمان:"وتعد هذه الروايات هي أيضا مترجمة" يعني أن مصير رواية دون كي خوته

هو سلسلة من الترجمات انتهت بالنص الإسباني مارة بالنص العربي.ومازال أنطوان برمان يسلك موقفا نقديا سلبيا عن كون المؤلف قدم الرواية"كترجمة من العربية"؛ ويواصل في التفكير الغامض كلما ذكر"الوعي الثقافي الاسباني"؛بقصده ضمنيا أن العرب ليس لهم"وعي ثقافي".وهذا الالتباس في الرأي دال على ما ذكره برمان خيانة الترجمة.والنقطة التي تضاف هي الضبابية حول انتماء النص إلى المؤلف الحقيقي أي من كتب النسخة الأصلية؟كلما قصد برمان الوعي الترجمي الأوروبي الحديث كلما قصد ضمنيا العرب غير الواعيين بقيمة النسخة الأصلية وما ينجر عنها من عمليات ترجمية

**د-النسخة الأصلية**:

يعتبر أنطوان برمان ترجمة المؤلف الأدبي عبورا يستلزم وجود النص الأصلي ليقرأ ويعرف صاحبه.ولهذا يستغرب أنطوان برمان من غرابة موقف العرب الذين يترجمون فيرمون النص الأصلي بعد ترجمته،وهو متأثر بقول فريدريخ اشليغل؛فيقول:"فعلا،القيام بحرق الأصل فعل معقد تعقيدا لا يدرك وهو يوشك أن يكون أسطوريا..."من أين اقتنى اشليغل هذه المعلومة وكيف نقلها برمان و لم يحقق صحتها؟

إن كلام برمان،على ما يبدو، نقد مسبق حول الفعل الذي يتهم به العرب. كأنه جرد العرب من الفضائل التي يتحلى بها كل مترجم من دقة وأمانة وإخلاص...

**ر-إعادة الترجمة:**

إذا قامت العرب بحرق النسخة الأصلية بعد ترجمتها فهذا يعني أنهم يقطعون الطريق لإعادة الترجمة التي يعدها برمان عنصرا أساسيا مع احترام النسخة الأصلية، لكي تبني نظرية في نقد الترجمات

الأوروبية من العهد الكلاسيكي.ومن البديهي أن إعادة الترجمة تستحيل بغياب النص الأصلي. إذن،ستحيل للعرب الذين حرقوا الأصل أن يواصلوا في درب التقدم المتمثل في الترجمة و يستحيل لهم أيضا أن يشاركوا في بناء الأدب الحديث[10].فأغلقت أمامهم أبواب تفتح ثقافتهم للثقافات الأخرى ما فتحتها عملية إعادة الترجمة في الغرب.

في القرن الواحد و العشرين تعني إعادة الترجمة معنى تاريخيا و ثقافيا كما يرمي إليه برمان بقوله:"بإعادة فتح المجال لمؤلفات ذات قوة الاهتزاز والاستدعاء،قد انتهى أمرها إلى أن يهددها كل من مجدها(كثرة الضياء تظلم وكثرة الإشعاع تتعب) وهي ترجمات تنتمي إلى مرحلة خطأ برمان فيما يتعلق بسلوك العرب من الترجمة راجع إلى مدى تأثير اشليغل على التفكير الفلسفي الترجمي لبرمان الذي سمى اشليغل "بالأب المؤسس للنقد المعاصر"[11].

يعتبر غياب إعادة الترجمة غيابا لامتداد أفق الترجمة.وتفطنت أوروبا لهذا الجانب فأخذت تترجم ثانية نصوص اليونان العتيق و الروم معا.

**الخاتمة:**

أنطوان برمان صاحب ثقافة ترجمية واسعة ومكثفة... هو أيضا صاحب شخصية متقلبة من كتاب إلى آخر.هو رجل تقدمي يدافع عن الترجمة الأوروبية؛وهو متسامح يطلب تفتح الثقافات في كتابه:"امتحان الغريب"وهو رجل متحمس و مدافع عن الترجمة الأوروبية دفاعا يوشك أن يكون متطرفا في مواقفه،وهذا يتجلى في كتابه:" في سبيل نقد الترجمات: جون دون نموذجا".

زيادة على هذا برمان متغير المزاج؛ من جهة ينفي المركزية و يدعو إلى التخلص منها ويستشهد بإدوارد سعيد و بحكمه

على الإستشراق الذي فشل في"مجابهة إشكالية تخلصه من المركزية،بحيث الضغوطات العقائدية في القرن التاسع عشر قادته إلى ترجمات "عرقية مركزية". ومن جهة أخرى يدعو إلى المركزية الرومانية لتأسيس ترجمة أوروبية؛ مع أنه يقترح تأسيس نظرية ضد"العرقية المركزية"[12].

على أساس هذا التناقض المزاجي، أطمأن برمان بتأسيس مشروع ترجمة أوروبية تحتل مكانة معتبرة في العالم،وعلى الرغم من أنه ألصق بالعرب علامة حرق النسخة الأصلية فيبقى تأريخ الترجمة العالمية يشهد للعرب بالريادة في الترجمة شأنهم شأن اليونان.

## النص الأول: الترجمة عبر نص[13]

نقلت إلى العربية كالتالي:
"يمتد المؤلف الأدبي الحقيقي في أفق الترجمة.وخير مثال على ذلك دون كي خوته حيث سرفنتيس شرح لنا بأن مخطوط روايته حول مغامرات بطله قد ترجم من العربية؛وزعم أن النسخة الأصلية كتبها مغربي السيد حامد بن جلي؛ ضف إلى ذلك،أن دون كي خوته والخوري يتحدثان بوقار ويتحاوران عدة مرات عن الترجمة وعن أغلب الروايات التي جعلت فكر البطل يلتبس؛ وتعد هذه الروايات هي أيضا مترجمة. وهناك سخرية رائعة في أن أكبر رواية اسبانية قدمها مؤلفها كترجمة من العربية تلك اللغة التي كانت سائدة في شبه الجزيرة الإسبانية طيل قرون. حقا، هذا يمكن أن يخبرنا شيئا ما عن الوعي الثقافي الإسباني بل أيضا عن العلاقة بين الأدب والترجمة

## النص الثاني:الروم و العرب[14]

ذكر افريديخ اشليغل شعبين من المترجمين؛هما الروم والعرب، وذكر ما يميزهما وهو أن الروم شكلوا لغة و أدبا على أساس عمل عظيم عند ترجمة اليونان ...العرب في رأيه،تصرفوا تصرفا آخر:ما كان يميز تفكيرهم الفلسفي هوسهم في رمي الأصل أو القضاء عليه بعد انجازهم الترجمة.ومن أجل هذا بالضبط ربما كانوا أوسع ثقافة ولكن،كانوا صراحة؛وعلى الرغم من ثقافتهم الواسعة أكثر"بربرية" ما هو في آن واحد،ضد الكلاسيكية و ضد التقدم.

فعلا، القيام بحرق الأصل فعل معقد تعقيدا لا يدرك وهو يوشك أن يكون أسطوريا.إن أثره لمضاعف كحذف كل علاقة بأدب يعتبر مثالا تاريخيا (ضد الكلاسيكية)، وكجعل إعادة الترجمة مستحيلة(بينما تتطلب أي ترجمة كانت إعادة ترجمتها التي تعني سيرا تقدميا).

**المراجع:**

Antoine, Berman, 1984 :l'épreuve de l'étranger, culture et traduction dans l'Allemagne romantique, Herder, Goethe, Schlegel, Novalis, Hunboldt, Schleiermacher, Hölderlin, Gallimard, 312 pages.

1- Antoine, Berman, 1995 : pour une critique des traductions, John Donne, œuvre posthume, Gallimard, 279 pages.

2- Antoine, Berman, 1999 : la traduction et la lettre ou l'auberge du lointain, le seuil.

3- Antoine, Berman, 2008 : l'âge de la traduction : « la tâche du traducteur », de Walter Benjamin, un commentaire, presses universitaires de Vincennes, 181 pages.

4- Antoine, Berman, 2012 : Jacques Amyot, traducteur français, Blouin.

5- Jacquart, Danielle, Françoise Micheau, 1996 : La médecine arabe de l'occident médiéval, Ed. Maisonneuve et Larose, 271 pages.

6- Sigrid, Hunke, 1963 : Le soleil d'Allah brille sur l'occident, Ed. Albin Michel, 4/4 pages ; Alger : 1987

[1]-Sherry Simon, université Concordia, Québec.

[2] -Antoine Berman , l'épreuve de l'étranger, p23-24et p 59.

[3]-Antoine, Berman, L'épreuve de l'étranger, p59.

[4]-السورة 30:1–4.

[5] -A. Berman : pour une critique des traductions…, p18-19.
[6]- Sirgid Hunk : Le soleil d'Allah brille sur l'occident, p229-230-233.
[7] -A. Berman, pour une critique des traductions, p21.
[8] -P. Benoit et F. Micheau :l'intermédiaire orale ?dans : éléments d'histoire des sciences (dir M. Serres)paris ,1989, pp151-175.
[9] -A. Berman : pour une critique destraductions,p18.
[10] -Antoine Berman, l'épreuve de l'étranger, p281.
[11] -Antonie ,Berman,pour une critique de la traduction,p38.
[12] -Antoine. Berman, l'épreuve de l'étranger, p297.
[13] -Antonie Berman, « l'épreuve de l'étranger »traduction et transtextualité, p24.
[14]–جعلت لهذه الفقرة عنوانا يناسب محتواها:الروم و العرب،ص59.